شخصية إلياس عليه السلام ومنهجه في الدعوة من خلال القرآن الكريم

د. حسين بن علي بن عمر الزومي (*)

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهم، وبعد:

فلقد أدرك غير المسلمين -بلْه المسلمين- منذ تنزّلات القرآن الأولى وحتى الآن أن سرّ قوة المسلمين إنما تكمن في القرآن الكريم، بمنهجه وهداياته وكمال مبادئه. وكان من أقوى المشاهد القرآنية التي عرضت لذلك المنهج الرشيد والمبادئ العتيدة مشاهد الأنبياء القادة الذين حملوا راية الدعوة والتوحيد منذ نوح عليه السلام وحتى خاتم النبيين محمد عليه أزكى الصلاة والتسليم.

ومن المشاهد القرآنية ما يمرّ عليها بعض القرأة مرور السهام، لا يقفون عند عجائبها، ولا يستلهمون منها العبر، مع أنها قد ملئت كنوزاً لمن تفكر وتدبر، ومن تلك المشاهد والقصص التي مزجت بروعة القرآن وجمال لفظه وفخامة معناه: قصة نبي الله إلياس عليه الصلاة والسلام.

وقد ورد اسم (إلياس) عليه السلام في القرآن الكريم بموضعين:

الأول: في سورة الأنعام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٥].

الثاني: في سورة الصافات، وذلك في الآيات التالية: ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ. إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ. أَتَدۡعُونَ بَعۡلا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ. ٱللَّهَ

(*) أستاذ التفسير المشارك بجامعة القصيم.

رَبَّكُم وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلأَوَّلِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُم لَمُحضَرُونَ. إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلمُخلَصِينَ. وَتَرَكنَا عَلَيهِ فِي ٱلأخِرِينَ. سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِل يَاسِينَ. إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجزِي ٱلمُحسِنِينَ. إِنَّهُۥ مِن عِبَادِنَا ٱلمُؤمِنِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٢٣- ١٣٢].

أما الموضع الأول فكان في ثنايا ذكر أسماء الأنبياء وذرياتهم، بدون الخوض في تفاصيل أخبارهم، إذ تسرد الآيات: ﴿وَتِلكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَينَٰهَآ إِبرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَومِهِۦۚ نَرفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبنَا لَهُۥٓ إِسحَٰقَ وَيَعقُوبَۚ كُلًّا هَدَينَاۚ وَنُوحًا هَدَينَا مِن قَبلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجزِي ٱلمُحسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِليَاسَۖ كُلّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ. وَإِسمَٰعِيلَ وَٱليَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاۚ وَكُلّا فَضَّلنَا عَلَى ٱلعَٰلَمِينَ. وَمِن ءَابَآئِهِم وَذُرِّيَّٰتِهِم وَإِخوَٰنِهِمۖ وَٱجتَبَينَٰهُم وَهَدَينَٰهُم إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّستَقِيمٖ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٧].

وأما الموضع الثاني فقد ذكر فيه تفصيلات قصة إلياس، وإن كان يغلب عليها الإجمال، إذ جاءت في عشر آيات قصار، ولكنها تحمل بين طياتها الكثير من المعاني الزاخرة والإشارات الباهرة، وهو ما سنلمسه جليًّا في بحثنا هذا، على قلة زاد الباحث وضعف إدراكه عن سبر أغوار دقائق المعاني ورفعة الألفاظ والمباني، ولكنها محاولة الجاهد في استشعار اللفتات وفقه ظواهر الكلمات النيّرات.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في محاولة إظهار الحقائق حول شخصية إلياس عليه السلام واستنباط منهجه الدعوي من خلال الآيات القرآنية الواردة في قصّته، وتتحدّد في سؤالَيْن:

- ما الحقائق المتعلّقة بشخصية إلياس عليه السلام؟
- ما المنهج الدعوي الذي سلكه إلياس عليه السلام في دعوته؟

هدف البحث:

هذا البحث يهدف إلى دراسة شخصية إلياس عليه السلام واستنباط منهجه الدعوي من خلال الآيات القرآنية الواردة في قصّته، وتحليلها مستنيراً بأقوال أهل التفسير، وإسهاماً في إظهار هذا النبي الكريم وإبراز دوره، ليكون نبراساً لأبناء الأمة المحمدية.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال النقاط التالية:

- مكانة القصص القرآني للأنبياء عليهم السلام، فهم منارات الهدى للعالمين.
- علو شأن الأنبياء واصطفاء الله لهم، ومن ضمنهم نبي الله إلياس عليه السلام.
- تميّز قوم إلياس عليه السلام ودعوته لهم بميزات لم تظهر لدى الأمم الأخرى.
- قِصَر القصة جعل بعض المسلمين يغفل عن أخذ العبرة منها، مع ما اشتملت عليه من كنوز وروائع.

الدراسات السابقة:

هناك الكثير من الكتب قديماً وحديثاً مما أُلّف في قصص الأنبياء بإجمال، وبسردٍ مختزل اعتمد في أغلب مادّته على ما قاله أهل الكتاب، وهي كثيرة بالمئات، ناهيك عما ذكره المفسرون في ثنايا تفسيرهم للقرآن العظيم.

أما التأليفاتُ المفْرَدَة فبعد البحث والاطلاع على الدراسات الحديثة لم نجد على حد علمنا القاصر من أفرد هذا الموضوع بالتأليف سوى دراسة جاءت بعنوان:

- **(إلياس عليه السلام وآراء المفسرين فيه)**، للباحث عمر عبد الوهاب محمود. وهو بحث محكّم منشور بمجلة التربية والعلم – المجلد ١٦، العدد ١ لسنة ٢٠٠٩م، والصادرة عن كلية التربية بجامعة الموصل بالعراق.

وبعد أن اطلعنا على هذا البحث، ظهر لنا عدة فروق بينه وبين بحثنا نجملها فيما يلي:

- أن موضوع بحثه -كما نصّ على ذلك- ما وجده من آراء كثيرة متضاربة للمفسرين، والوقوف على الرأي الراجح منها؛ بينما موضوعنا هدفه الوصول إلى حقيقة شخصية إلياس وبيان منهجه الدعوي.
- ركّز في بحثه على ثلاث قضايا: القراءات، وعلاقة إلياس بالخضر عليهما السلام، وسرد الإسرائيليات بدون نقد ولا تمحيص.
- لم يتطرّق بحثه بتاتاً لمنهج إلياس في الدعوة، ولا لصفاته، ولا لأتباعه، كما لم يبين هل كان إلياس من بني إسرائيل أم من قوم آخرين، ولا تحدث عن شخصيته في التوراة والإنجيل، ولا عن طبيعة عبادة قومه للبعل.
- جاء البحث مختزلاً، وأغفل العديد من القضايا، فمع أن البحث جاء في ٣٢ صفحة إلا أنه لم يسلم منها لصلب البحث سوى ١٧ صفحة.

وبهذا يظهر الفرق الكبير بين البحثين، من حيث الأهداف، ومنهج الدراسة، والموضوعات.

منهج البحث:

اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي للآيات القرآنية الواردة في القصة: والذي يقوم بوصف مقالات العلماء ومناقشتها وتصنيفها، ومن ثم تفسير الآيات وتحليلها ودراستها واستنباط المعاني الصحيحة في شخصية إلياس عليه السلام ودعوته.

خطة البحث:

تتكون الدراسة من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

- **المقدمة:** وفيها بيان مشكلة البحث، وأهمية موضوع البحث، وهدفه، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع فيه، وخطة الدراسة.

- **مباحث الدراسة:**

المبحث الأول: شخصية إلياس عليه السلام، ويشتمل على الآتي:

المطلب الأول: القراءات في (إلياس) و(إل ياسين).

المطلب الثاني: حقيقة إلياس عليه السلام ونبوته.

المبحث الثاني: إلياس عليه السلام عند أهل الكتاب، ويشتمل على الآتي:

المطلب الأول: النسب.

المطلب الثاني: نقد المرويّات.

المبحث الثالث: المنهج الدعوي في قصة إلياس عليه السلام، ويشتمل على الآتي:

المطلب الأول: أساليب ووسائل من خلال الآيات.

المطلب الثاني: مقامات إلياس عليه السلام ومقوّماته.

المطلب الثالث: صفات أتباع إلياس المؤمنين.

الخاتمة: وفيها بيان أهم النتائج التي توصلتُ إليها.

ولا أملك في ختام مقدمتي سوى أن أتقدم بجزيل الشكر لجامعة القصيم ممثلة فى عمادة البحث العلمي، على دعمها المادي لهذا البحث تحت رقم (٣٦٥٧-S-١٤-١-٢٠١٨-csi) خلال السنة الجامعية ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م.

The author gratefully acknowledge Qussaim university, represented by the deanship of scientific Research, on the material support for this Research Under No. (csi-٢٠١٨-١-١٤-S- ٣٦٥٧) during the academic year ١٤٤٠ AH / ٢٠١٨ AD.

ومن الله نستمد العون والتوفيق، ولعل ما سطّرته أقلامنا في حق مقام النبي إلياس عليه السلام يكون شافعاً لنا يوم نلقى الله.. والله المستعان.

المبحث الأول

شخصية إلياس عليه السلام

المطلب الأول: القراءات في (إلياس) و(إل ياسين)

جاءت في (إلياس) ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قرئت (وإن إلياس) بهمزة القطع المكسورة، وهي قراءة الجمهورP لأن إلياس ليس بموضع تحذف فيه الهمزة، إنما هو موضع تجعل فيه بين بين في التخفيف كما يخفف سئم وبئس، {وَإِذْ قَالَ إِبْـرَاهِيمُ} [البقرة: ٢٥٨]. ويقوي ثبات الهمزة قوله: {سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ}، فهذا يدلّ على أن الهمزة ثابتة في إلياس بثبوتها في (إلياسين).

القراءة الثانية: قرئت (وإن الياس) بغير همز، بوصل الهمز، وهي قراءة ابن عامر وابن محيصن وأبي رجاء والأعرج وقتادة[١].

أما القراءة الثالثة: (وإن إيلِياس)- بهمزة مكسورة وياء ساكنة بعدها لام مكسورة وياء ساكنة وسين مهملة مفتوحة فليست بقراءة متواترة، وهي قراءة أبي بن كعب[٢]، ولفظها قريب من (إيليّا) في العهد القديم.

أما (إلياسين) فقد جاءت فيها قراءتان متواترتان:

الأولى: {سلام على إلياسين} بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بـ (ياسين) فجعلوها كلمة واحدة، وهي قراءة الجمهور، إلا أن حفصاً تفرد بروايته عن عاصم بقراءة (إل ياسين)- بهمزة مكسورة ولام ساكنة مفصولة[٣].

---

(١) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي ٥/ ٥٩ - ٦٠، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جنّي ٢٢٣/٣، السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد ص٥٤٨ .

(٢) تفسير ابن عطية ٤٨٤/٤، البحر المحيط، أبو حيان ٣٥٨/٧ ، تفسير البيضاوي ٢٥/٥.

(٣) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه ص٣٠٣، السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد ص٥٤٨- ٥٤٩، العنوان في القراءات السبع، أبو الطاهر ص١٦٢، حجة القراءات، ابن زنجلة ص٦١٠

وعلى هذه القراءة يرى البعض أنه اسم له(1)، قال الزجاج: يقال ميكال وميكائيل ومكائين، فكذا ههنا إلياس وإلياسين(2)، فالعرب تلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها كما قالوا إسماعيل وإسماعين وإسرائيل وإسرائين(3)، ولعل لزيادة الياء والنون في السُّريانية معنى(4)، واختار هذه اللغة هنا رعاية للفواصل(5).

قال الفراء: " وقد يشهد عَلَى صواب هَذَا -يقصد قراءة (إلياسين)- قوله: {مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ} [المؤمنون: ٢٠] ثم قال في موضع آخر: {وَطُورِ سِينِينَ} [التين: ٢] وهو معنى واحد وموضع واحد (6) ".

وهو ما نصره الطبري بقوله: " يُستشهد على ذلك أن ذلك كذلك بأن جميع ما في السورة من قوله (سَلامٌ) فإنه سلام على النبي الذي ذُكر دون آله، فكذلك إلياسين، إنما هو سلام على إلياس دون آله(7) ". ومراده أننا إذا وضعنا القصص المتتابعة الواحدة إلى جنب الأُخرى نرى أنّ سلام الله في تلك الآيات مرسل إلى الأنبياء الذين تطرّقت إليهم الآيات: {سلام على نوح في العالمين- سلام على إبراهيم- سلام على موسى وهارون}. وطبقاً لذلك فإنّ {سلام على إل ياسين} تعني السلام على إلياس وحده فقط. وهو ما جزم به (المصطفوي) من أن المراد من كلمة- إِلْ ياسِينَ- هو إلياس المذكور قطعًا، والأقوال الأُخرى في هذا المورد خلاف نظم الآيات وظاهرها(8).

---

(١) تفسير ابن عطية ٤/٤٨٤.
(٢) تفسير الرازي ١٤١/٢٦.
(٣) قصص الأنبياء، ابن كثير ٢٤٦/٢.
(٤) تفسير الزمخشري ٤/٦٠.
(٥) تفسير الألوسي ١٤١/٢٣.
(٦) معاني القرآن، الفراء ٢/ ٣٩٢.
(٧) تفسير الطبري ١٠١/٢١.
(٨) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي ١٤١/١.

واختار أبو عبيدة هذه القراءة، وقال: "إلياسين اسم إلياس، مثل إبراهام في إبراهيم، ألا تراه أنه لم يقل في شيء من السورة على آل فلان وآل فلان، إنما جاء بالاسم، وكذلك الياسين[١]".

وقد عقّب النحّاس على أبي عبيدة بقوله: "وهذا الاحتجاج أصله لأبي عمرو، وهو غير لازم لأنا بينا قول أهل اللغة: إذا سلم على آله من أجله فهو مسلّم عليه". ثم قال: "والقول بأن اسمه (الياسين) يحتاج إلى دليل ورواية فقد وقع في الأمر إشكال، كان الأولى اتباع الخط الذي في المصحف وفي المصحف «سلام على آل ياسين» بالانفصال فهذا ما لا إشكال فيه [٢] ".

وبعضهم يعتبرها جمعاً بمعنى (إلياسيين)، وطريقة ذلك أن (إلياس) أضيفت إليها (ياء) النسب فأصبحت (إلياسي)، وبعد ذلك جمعت بإضافة الياء والنون إليها فأصبحت (إلياسيين)، فحُذِفَتْ أولاهما لالتقاءِ السَّاكنين، فصار (إلياسين) كما ترى [٣].

القراءة الثانية: {سلام على آل ياسين} بإضافة لفظ (آل) بفتح الهمزة مشبعة وكسر اللام مقطوعة إلى لفظ (ياسين)، فجعلوها كلمتين، وهي قراءة نافع وابن عامر ويعقوب ورويس[٤]. وحجتهم أنها في المصحف العثماني مفصولة من ياسين، ففيه نوع تأييد لهذه القراءة[٥].

---

(١) مجاز القرآن، أبو عبيدة ٢/ ١٧٢ – ١٧٣ .

(٢) إعراب القرآن، النحاس ٣/ ٢٩٥.

(٣) الدر المصون، السمين الحلبي ٩/٣٢٩.

(٤) التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني ١٨٧، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٦٠، السبعة في القراءات، ابن مجاهد ص٥٤٩.

(٥) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي ٦/ ٦١ وما بعدها، تفسير الألوسي ١٢/١٣٥.

وفي توجيه هذه القراءة أقوال أرجحها أنه جعل اسمه إلياس وياسين ثم سلم على آله؛ أي: أهل دينه ومن كان على مذهبه[1].

والذي أميل إليه أنه لا مانع من الجمع بين المعنيين، وأنه لا يوجد بينهما تضاد؛ فالله سبحانه سلّم على إلياس عليه السلام، وسلّم كذلك على آله وهم أتباعه من المؤمنين، خصوصاً وأن القاعدة التفسيرية تنصُّ على أنَّ منزلة القراءة من القراءة بمنزلة الآية من الآية [2].

المطلب الثاني: حقيقة إلياس عليه السلام ونبوته:

يفهم الناظر من خلال قراءة النصّ القرآني أن (إلياس) عليه السلام هو (إلياس) وليس ما سواه من شخصيات الأنبياء أو الصالحين، ومع ذلك فقد ذكر البعض أنه ليس إلا اسماً آخر لشخصية أخرى، ومن ذلك:

أ/ يعتقد البعض أنّ "إلياس" هو إدريس عليه السلام؛ فكلمة إدريس تلفظ إدراس، وطرأت عليها تغيّرات في بنية الكلمة فأضحت إلياس. أو أن إلياس اسم آخر لإدريس عليه السلام أو أنه لقب له، وهو قول ابن مسعود[3]، وقال به قتادة[4] والضحاك بن مزاحم، وعكرمة، وعياض ومحمد بن إسحاق ورواية

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي ٨٢/٧.

(٢) لمزيد النظر في هذه القاعدة: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١٣/ ٣٩١- ٣٩٢، البرهان؛ للزركشي ١/ ٣٢٦، أضواء البيان؛ للشنقيطي ٨/٢، قواعد التفسير، خالد السبت ٨٨/١، فصول في أصول التفسير، مساعد الطيار ص١٢٨.

(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم بسند حسن ، قال ابن كثير: قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن إسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن عبدالله بن مسعود. (تفسير ابن كثير ٢٠/٤). وذكره البغوي في تفسيره (٣٦/٤) عن ابن مسعود، وكذلك: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٣٨٠/٢، تفسير القرطبي ١١٥/١٥.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٩٥) عن قتادة.

لابن عباس[1]، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ١٢٣﴾ [الصافات: ١٢٣]، روي عن عبد الله بن مسعود قال: إلياس هو إدريس، وفي مصحفه (وإن إدريس لمن المرسلين).

وقد يرى البعض أن ابن مسعود رضي الله عنه يرى العكس وهو أن إدريس هو إلياس، ففي قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقا نَّبِيا٥٦﴾ [مريم: ٥٦]، روى ابن أبي حاتم بسند حسنه السيوطي عن ابن مسعود أنه قال: إنه إلياس بعث إلى قومه أن يقولوا لا إله إلا الله ويعملوا ما شاءوا فأبوا وأهلكوا [2].

فلا نعرف بالضبط هل رأي ابن مسعود أن إدريس هو إلياس؟ أم أن إلياس هو إدريس؟ قال القرطبي: "وروي عن ابن مسعود قال: إسرائيل هو يعقوب، وإلياس هو إدريس. وقرأ: (وإن إدريس) وقال عكرمة: هو في مصحف عبد الله [يعني ابن مسعود] (وإن إدريس لمن المرسلين) وانفرد بهذا القول"[3]. قال الألوسي: والمستفيض عنه أنه قرأ كالجمهور[4]. ولعلّ هذه قراءة تفسيرية من ابن مسعود رضي الله عنه[5] كما كان يقرأ بذلك في آيات أخرى.

ب/ مجموعة من المفسّرين اعتبرت (إلياس) هو الخضر[6].

---

(١) تفسير ابن عطية ٤/ ٤٨٣، الدر المنثور، السيوطي ٥/ ٥٣٧ ، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠، تفسير الثعالبي ٤/ ٢٤، تفسير البغوي ٤/ ٣٦، فتح الباري، ابن حجر ٦/ ٣٧٥.

(٢) تفسير الألوسي ١٦/ ١٠٥، تفسير البغوي ٤/ ٣٦.

(٣) تفسير القرطبي ١٥/ ١١٥، وانظر: تفسير الطبري ٧/ ٢٦١، تفسير الماوردي ٥/ ٦٤، تفسير البغوي٤/ ٣٦، زاد المسير، ابن الجوزي ٧/ ٧٩.

(٤) تفسير الألوسي ٢٣/ ١٣٩.

(٥) وهو الذي رجحه أبو حيان (البحر المحيط ٩/ ١٢١).

(٦) إعراب القرآن، النحاس ٣/ ٢٩٤.

ومنهم من رأى أنه صاحب للخضر وصديق له، وأنّ كليهما ما يزال حيًّا، وبعض هؤلاء يرى أنّ إلياس موكّل بالفيافي والقفار والخضر موكّل بالجزر والبحار[1]، وكل هؤلاء -وأغلبهم من المتصوفة- يقولون بخلود الاثنين في الدنيا وأنهما آخر من يموت من بني آدم، وكان الحسن يقول: قد هلك إلياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس[2].

ج/ والبعض يرى أنّ إلياس هو (اليسع). وضعف هذا القول القرطبي بقوله: "وتوهم قوم أن اليسع هو إلياس، وليس كذلك؛ لأن الله تعالى أفرد كل واحد بالذكر"[3].

د/ وجوّز قوم أن يكون هو إلياس بن مضر جدّ النبي صلى الله عليه وسلم[4].

ولكن الذي يتناسب مع ظاهر الآيات هو أنّ هذا الاسم اسم أحد أنبياء الله غير تلك الأسماء التي وردت في القرآن المجيد، وأنّه بعث لهداية قوم يعبدون الأصنام، فكذّبه أكثر القوم، عدا مجموعة من المؤمنين المخلصين الذين صدّقوه.

كما أن إلياس هو نفسه (إيلياء) النبي المذكور في التوراة والذي عاصر الملك (آجاب) الطاغية المتجبّر[5].

* *

---

(١) تفسير النيسابوري ٥/٥٧٥، التفسير المظهري ١٤٢/٨.

(٢) تفسير النيسابوري ٥/٥٧٥.

(٣) تفسير القرطبي ٣٣/٧.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي ١٩٧/٢.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٦٦/٢٣.

المبحث الثاني

إلياس عليه السلام عند أهل الكتاب

المطلب الأول: النسب:

لم يرد في أسفار العهد القديم ذكرٌ لنسب إلياس عليه السلام، بل لا يعرفون والديه، فقد ظهر في التاريخ فجأة، ولم تحدد التوراة أصل (إيليا) العائلي، ولا من أين جاء؟ وكان ظهوره فجأة على مسرح الأحداث دون مقدمات، ولا يعرفون حتى مكان مولده(١).

وربما تكون شخصية النبي إلياس عليه السلام هي الشخصية الوحيدة الغامضة بالنسبة لأهل الكتاب، والذي زادهم عيًّا في ذلك ما ورد من نسبته في الكتاب المقدس بـ(إلياس التّشبي) في سبعة مواضع (٢)؛ وذلك نسبة إلى تشبة(٣) من بلاد جلعاد(٤).

---

(١) حياة إيليا والخدمة النارية، القس داود لمعي، ص١٢.

(٢) (١ ملوك ١٧: ١ ، ٢١: ١٧ ، ٢١: ٢٨ ، ٢ ملوك ١: ٣ ، ١: ٨، ٩: ٣٦).

(٣) الأصل في تشبة أنها من جلعاد كما في النصّ في سفر الملوك: [إيليا التشبي من مستوطني جلعاد]، ولكن زعم بعض مفسري الكتاب المقدس أنهم لم يجدوا لها اسماً قريبًا في آثار جلعاد، ونسبوا (تشبة) إلى ما ورد في التوراة في موضع آخر وأنها Thisbe تقع في شمال الجليل جنوب قادش نفتالي –أي المنسوبة إلى سبط نفتالي– . (موقع : شرح الكتاب المقدس – العهد القديم – الأنبا مكاريوس الأسقف العام – طوبيت ١ – تفسير سفر طوبيا http://st-takla.org ، بتاريخ ١٤٣٨/١٢/٢٨هـ.). وإن صح هذا–وفي هذا نظر– فيكون ايليا قد ولد هناك ثم استوطن بعد ذلك جلعاد. ولكن أغلب مؤرخي أهل الكتاب يقولون أن تشبة من جلعاد والتي هي بلاد الكنعانيين (حياة إيليا، القس داود لمعي، ص١١٠).

(٤) تحمل جلعاد معنى واسع في التوراة يشمل كل المنطقة شرق الأردن (سفر التثنية ٣٤: ١، سفر يشوع ٢٢: ٩، سفرالقضاة ٢٠: ١، سفر صموئيل الثاني ٢: ٩، ١). أما في العصر الحاضر فهي قرية أردنية من قرى محافظة البلقاء.(موقع ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki/جلعاد) .

ويُسمّى (إيليا) في النص العبري للعهد القديم (إيلياهو)، وكلاهما بمعنى: الرب هو إلهي[1]. أما في أغلب النسخ المتأخرة المترجمة فيسمى (إيليا)[2].

أما المؤرخون المسلمون فقد اجتهدوا في معرفة نسبه، واختلفوا على أقوال، من أهمها:

- أنه إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، وهو ما رواه ابن إسحاق عن وهب بن منبه[3]. وفوق أن السند ضعيف إلى وهب، فهو مما ليس له ذكر في أسفار أهل الكتاب.
- وقد جاء في رواية الكلبي ترتيب آخر، فهو: إلياس النشبي بن العازر بن هارون بن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وعلّق عليه ابن كثير بأن فيه نظرًا[4].
- وقيل إنه من سبط يوشع، وهو قول القُتَبِيُّ فيما حكاه عنه ابن عساكر[5]، والقرطبي[6].
- ولكن عطاء بن أبي رباح لم يجزم بسلسلة النسب المذكورة، وإنما يرى أنه: من ذرية إبراهيم عليه السلام[7]. بدون الإشارة هل هو من بني إسرائيل أو من بني إسماعيل.

---

(١) حياة إيليا والخدمة النارية، القس داود لمعي ، ص١٣، وكذلك: حياة إيليا وسرّ قوّته، ف.ب.ماير، ص١٤.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن، المصطفوي ١/١٤٠.

(٣) تفسير الطبري ٢١/٩٥.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/٢٠.

(٥) الإتقان، السيوطي ٢/٣٦٩، والقتبي هو ابن قتيبة الدينوري.

(٦) تفسير القرطبي ٧/٣٢، فتح القدير، الشوكاني ٢/١٣٦.

(٧) الوسيط، الواحدي ٢/٢٩٤.

– وخالفهم الضحّاك؛ فهو يقول بأنه من ذرية إسماعيل عليه السلام(١).

– أمّا الآيات القرآنية فلا تدلّنا إلا على شيء واحد، وأصلٍ عامّ لكلّ البشرية؛ لأن الله عزَّ وجل قال: ﴿وَوَهَبنَا لَهُۥٓ إِسحق وَيَعقُوبَۚ كُلًّا هَدَينَاۚ وَنُوحًا هَدَينَا مِن قَبلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجزِي ٱلمُحسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِليَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٥) وَإِسمَٰعِيلَ وَٱليَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاۚ وَكُلا فَضَّلنَا عَلَى ٱلعَٰلَمِينَ٨٦﴾ [سورة الأنعام:٨٤– ٨٦].

قال الواحدي: "والعلماء بالنسب يقولون: الكناية تعود إلى نوح؛ لأنه ذكر في جملة من عدّ من هذه الذرية يونس ولوطاً، ولا شك أنهما لم يكونا من ذرية إبراهيم"(٢). وهذا هو ما دلّت عليه الآية؛ فنخلص من ذلك أن من نسبه إلى بني إسرائيل فليس له مستمسك لا من رواية صحيحة، ولا نقل عن أهل الكتاب.

والسؤال المهم هنا: **هل كان إلياس عليه السلام من بني إسرائيل؟:**

تكاد تتفق كل الروايات والاجتهادات عند المفسرين على أنه كان من أنبياء بني إسرائيل، على خلاف بينهم في ترتيبه بين الأنبياء(٣). خلا من زعم أن (إلياس) هو (إدريس) عليه السلام. حتى قال الرازي: " وَأَمَّا أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ فَهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ(٤) ". وقال البقاعي: " كان أحد بني

(١) تفسير القرطبي ٣٩/٧.

(٢) الوسيط، الواحدي ٢٩٥/٢، تفسير الطبري ٢٦١/٧.

(٣) بحسب ترتيب المؤرخين المسلمين للأنبياء، فإن (إلياس) جاء بعد (حزقيل) عليه السلام، و(حزقيل) قصته ذكرت مع ﴿أَلَم تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم وَهُم أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلمَوتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحيَٰهُمۚ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

(٤) تفسير الرازي ٣٥٣/٢٦.

إسرائيل عند جميع المفسرين إلا ابن مسعود وعكرمة [١]"؛ وذلك لاعتقادهما بأنه إدريس، وإدريس عليه السلام ليس من بني إسرائيل اتفاقاً.

كما أن الرواية المشهورة عن وهب بن منبه أنه قال: كان القيم بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا ثم حزقيل ثم لما قبض الله حزقيل النبي عظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا ما كان من عهد الله إليهم حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دونه فبعث الله إليهم إلياس نبياً[٢].

وهو ما اضطر جماعة من المفسرين بأن يلزموا أنفسهم بوجود سبط من أسباط بني إسرائيل كانوا قد استوطنوا في (بعلبك)، وعلى المشهور من الروايات الإسرائيلية أن الذي أسكنهم هو يوشع بن نون عليه السلام حينما فتح الشام، وكان من ضمنها المدينة المعروفة اليوم ببعلبك[٣]، قسمها على بني إسرائيل وأحل سبطًا منها ببعلبك ونواحيها، وهم السبط الذين كان منهم إلياس[٤].

وبعكس الشائع في أوساط المفسرين الذين تلقوا هذه الروايات بالقبول، يميلُ الباحثُ إلى أن إلياس عليه السلام لم يكُ من بني إسرائيل قط، وأن الصحيح أنه كان من قومه القاطنين بمدينة بعلبك.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ٢٨٣/١٦.

(٢) تفسير الطبري ٥٩٦/٢، تفسير القرطبي ١١٥/١٥، الدر المنثور، السيوطي ٧٥٠/١، زاد المسير، ابن الجوزي ٨١/٧، تفسير البغوي ٢٢٦/١.

(٣) تفسير الألوسي ١٣٣/١٢، تفسير القرطبي ١١٥/١٥.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ٢٨٣/١٦.

المطلب الثاني: نقد المرويّات:

هناك شبه اتفاق بين المفسرين إلى أنّ إلياس عليه السلام كان مبعوثاً إلى مدينة (بعلبك[١])، وهي إحدى مدن بلاد الشام ، لأنّ (بعل) هو اسم ذلك الصنم و (بك) تعني مدينة، ومن تركيب هاتين الكلمتين نحصل على كلمة (بعلبك)[٢] .

ومع اتفاقهم على أنه أُرسل إلى أهل بعلبك، فقد وقعوا في فخّ الإسرائيليات التي تكاد تتفق على أن إلياس إسرائيلي بعث إلى إسرائيليين مثله.

وسأضرب صفحاً عن كثير من المرويات الإسرائيلية التي هي في حقيقتها هشيمٌ لا يقف أمام النقد الشرعي والتاريخي[٣]، وأكتفي بالرواية المشهورة المنسوبة لوهب بن منبه، وقد جاءت بصيغ متعددة، ولكني أسرد رواية الطبري لها، وهي السند الوحيد في هذه القصة -على حدّ بحثي- إلى وهب بن منبه، فقد قال الطبري: "حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن وهب

---

(١) بعلبك: هي من مدن لبنان الآن، وبالتحديد في شمال سهل البقاع وشرق نهر الليطاني، وتبعد عن العاصمة بيروت حوالي ٨٣ كم من ناحية الشمال الشرقي. وهي قديمة البناء، فُتحت بصلحٍ أيَّامَ عمر (سنة١٤هـ)، وكان لأهلها صنم يسمى (بعلاً) فسميت به، واسم الموضع (بَك). قال ياقوت: بالفتح ثم السكون وفتح اللام والباء الموحدة والكاف مشددة: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل اثنا عشر فرسخاً. (معجم البلدان ٤٥٣/١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٢١) عن الضحاك، وابن زيد، وكذلك هو في تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٢٥/١٠، وذكره ابن عطية في تفسيره (٤/ ٤٨٤) وزاد نسبته للحسن.

(٣) أكثر من أطال في سرد الرواية الإسرائيلية للقصة هو الثعلبي في تفسيره: الكشف والبيان ١٥٨/٨-١٦٨، ثم نقلها عنه البغوي ملخصة ٥٢/٧-٥٨، ثم نقلها الخازن ملخصة عن البغوي ٢٥/٤-٢٦، وقد نسبها الثعلبي إلى محمد بن إسحاق بن يسار والعلماء من أصحاب الأخبار. وساقها بالمعنى مطولة صاحب التفسير المظهري ١٣٤/٨-١٤٢.

ابن منبه"، وفيها : "إن الله قبض حزقيل، وعظمت في بني إسرائيل الأحـداث، ونُسوا ما كان من عهد الله إليهم، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله، فبعث الله إليهم إلياس... إلخ[1]"، ولا أرغب بتسويد البحث بذكر الرواية بطولها ولكن ملخصها: أنه كان قد آمن به ملكهم ثم ارتدّ بسبب زوجته الوثنيــة، واســتمروا على ضلالتهم ولم يؤمن به منهم أحد فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر ثــلاث سنين . وأنه لما دعا عليهم بحبس المطر جهدوا جهدًا شديدًا، وقال لهم: إنَّكم قد هلكتم جهدًا وهلكت البهائم والشجر بخطاياكم فاخرجوا بأصنامكم وادعوها فإن استجابت لكم فالأمر كما تقولون، وإلا علمتم أنكم على باطل فتتركونها فادعوا الله فيفرج عنكم، فقالوا: أنصفت، ففعلوا فلم يستجب لهم فعرفوا ضلالهم، فقالوا: ادع الله لنا، فدعا فأرسل الغيث لكنهم بقوا على ما كانوا عليه من الضلال. إلى أن ختمت الرواية: "فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم، دعا ربه أن يقبضه إليــه، فيريحه منهم، فقيل له فيما يزعمون: انظر يوم كذا وكذا، فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا، فماذا جاءوك من شيء فاركبه ولا تهبه، فخرج إلياس وخرج معه اليسع ابن أخطوب، حتى إذا كان في البلد الذي ذُكر له في المكان الذي أُمر به، أقبل إليه فرس من نار حتى وقف بين يديه، فوثب عليه، فانطلق به، فناداه اليسع: يا إلياس، يا إلياس ما تأمرني؟ فكان آخر عهدهم به، فكساه الله الــريش، وألبــسه النور، وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب، وطار في الملائكة، فكان إنسيًا ملكيًــا أرضيًّا سَماويًّا". ويتضح من الرواية أنه رُفع إلى السماء وأنه انتقل من حالتــه الإنسانية إلى الحالة الملائكية [2].

قال ابن كثير بعد أن سرد هذه الرواية في تفسيره: "هكذا حكاه وهــب بــن منبه عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته[3] " . وقال أيضاً: "ففي هذا نظر، وهو

(١) تفسير الطبري، ٢١/٩٧-٩٩.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ١٦/٢٨٣.
(٣) تفسير ابن كثير، ٤/٢١.

من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب بل الظاهر أن صحتها بعيــدة، والله أعلم"[١].

ولي وقفات مع هذا الإسناد:

أولاً: في الإسناد رجلان من الضعفاء فلا تقبل راويتهما وهما: محمد بــن حميد التميمي الرازي[٢] ، وسلمة بن الفضل الأبــرش[٣]. هــذا مــع أن ابــن

---

(١) قصص الأنبياء، ص٣٤٩.

(٢) محمد بن حميد بن حيان التميمي، أبو عبد الله الرازي ت (٢٤٨هـــ)، وثقــه بعــضهم كأحمد بن حنبل وابن معين، والأكثر على تضعيفه؛ مثل أبي زرعة وقال يعقــوب بــن شيبة السدوسي: محمد بن حميد الرازي كثير المناكير . وقال البخاري: حديثه فيه نظر. وقال النسائي : ليس بثقة. وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: رديء المذهب غير ثقة. وقال صالح بن محمد الأسدي الحافظ: كانت أحاديثه تزيد وما رأيت أحدا أجرأ على الله منه، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضه على بعض. وقال أبو نعيم: سمعت أبا حــاتم الرازي في منزله وعنده جماعة من مشايخ أهل الري وحفاظهم للحديث، فذكروا ابــن حميد فأجمعوا على أنه ضعيف في الحديث جدا، وأنه يحدث بما لم يسمعه، وأنه يأخــذ أحاديث لأهل البصرة والكوفة فيحدث بها عن الــرازيين. (تهــذيب التهــذيب ١٢٧/٩ وتاريخ بغداد ٢٥٩/٢، وميزان الاعتدال ٤٩/٣، وشذرات الــذهب ١١٨/٢، وتــذكرة الحفاظ ٦٧/٢، تاريخ الإسلام ١٢٢١/٥، التاريخ الكبير ٦٩/١) قال الذهبي: وَهُوَ مَــعَ إِمَامَته مُنْكَرُ الحَدِيْث، صَاحِبُ عَجَائِبَ. ثم قال: قَدْ أَكْثَرَ عَنْهُ ابْنُ جَرِيْر فِي كُتُبِه. وَوَقَــعَ لَنَا حَدِيْثُه عَالِياً. وَلاَ تَرْكَنُ النَّفسُ إِلَى مَا يَأْتِي بِهِ – فَاللهُ أَعْلَمُ –. (سير أعــلام النــبلاء ٥٠٥/١١)

(٣) سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري مولاهم، أبو عبد الله الأزرق الرازي تــوفي بعــد ١٩٠هـــ، صاحب ابن إسحاق وراوي مغازيه وأشهر الرواة عنه، قال البخاري: عنــده مناكير، ووسمه أبو زرعة بالكذب، وقال أبو حاتم: محله الصدق، فى حديثه إنكــار، لا يمكن أن أطلق لساني فيه بأكثر من هذا، يكتب حديثه ولا يحتج به. وقــال النــسائي: ضعيف. وذكره ابن حبان فى كتاب "الثقات"، وقال: يخطئ ويخالف. (الجرح والتعديل ٤ / ١٦٨، كتاب المجروحين ١ / ٣٣٧، تهذيب الكمال٣٠٥/١١، ميزان الاعتدال ٣ / ١٩٢، تهذيب التهذيب ٤ / ١٥٣، شذرات الذهب ١ / ٣٢٨). إلا أن روايته للمغــازي عن ابن إسحاق مقبولة عند المحدثين، يقول الذهبي: كَانَ قَوِيًّا فِي المَغَازِي. (سير أعلام النبلاء ٥٠/٩).

إسحاق[١] لم يسلم من الكلام فيه أيضاً. وقد قال عبدالرحمن المعلمي في نقده لهذا الإسناد: "محمد بن حميد مُتّهم، وسلمة كثير الخطأ يأتي بمناكير، وابن إسحاق مدلس ولم يصرح بالسماع[٢] ".

ثانيا: أن الإسناد إلى وهب جاء مضطرباً؛ فتارة يرويه ابن إسحاق عن وهب[٣]؛ وتارة عن بعض أهل العلم؛[٤] وتارة يرويه بإسقاط من روى عنه[٥].

ثالثاً: حتى ولو صحّ الإسناد إلى وهب يبقى أنه في دائرة الإسرائيليات التي ينبغي أن تكون تحت مجهر النقد الشرعي والعقلي.

رابعاً: لم يخرج ما يرويه وهب عمّا هو في التوراة المحرّفة اليوم، والتي زادت تحريفاً بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلّم.

---

(١) محمد بن إسحاق بن يسار المدني القرشي المطلبي، صاحب المغازي، قال ابن المديني : ثقة، لم يضعه عندي إلا روايته عن أهل الكتاب. وثقه ابن المبارك وابن حبان وقال الدارقطني: اختلف الأئمة فيه ، وليس بحجة، إنما يعتبر به. وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه. وقال أبو زرعة: صدوق . وهو مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وصفه بذلك أحمد والدارقطني وغيرهما، وقال شعبة: صدوق، وقال أحمد: حسن الحديث، وقال ابن المديني: حديثه عندي صحيح، وقال ابن معين: ثقة، وليس بحجة، وقال النسائي: ليس بالقوي، وكذبه مالك، ويحيى القطان، ووهيب بن خالد. (الجرح والتعديل ٧/ ١٩١– ١٩٤، تهذيب التهذيب ٣٨/٩، تذكرة الحفاظ ١٦٣/١، ميزان الاعتدال ٣ / ٤٦٨ – ٤٧٥، طبقات الحفاظ ٧٥– ٧٦، تاريخ بغداد ٢١٤/١–٢٣٤، وفي مقدمة عيون الأثر، ابن سيد الناس ٧/١–١٧، أقوال في الطعن عليه، والدفاع عنه).

(٢) النكت الجياد، إبراهيم بن سعيد الصبيحي ٣٤٩/١.

(٣) تفسير الطبري ، ٩٧/٢١.

(٤) المرجع السابق، ٩٧/٢١–٩٨.

(٥) المرجع السابق، ٩٨/٢١.

فيتضح لنا من ذلك أن نسبتهم نبي الله (إلياس) إلى بني إسرائيل، من الأغلوطات التاريخية التي زلّ فيها كثير من المفسرّين والمؤرخين ، وهو فهم دخل عليهم من (الإسرائيليات) التي روت قصصاً عجيبة وغريبة لهذا النبي عليه السلام.

والذي يميل إليه الباحث أن (إلياس) عليه السلام بُعث إلى قوم من (الفينيقيين)، وتسمى المنطقة التي تقع فيها (بعلبك) وما حولها بأرض كنعان، وقد استخدم المفسرون لفظ الكنعانيين على كل المنطقة الواقعة في بلاد الشام [١]، وكذلك استخدمها مؤرخو ومفسرو العهد القديم[٢]. وبحسب المؤرخين فإن الكنعانيين (الفينيقيين) استقروا على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وذلك حوالى منتصف الألف الثالث ق.م، واطلق عليهم اليونان اسم الفينيقيين، وظلوا يمارسون نشاطهم في هذه المنطقة حتى منتصف القرن الأول ق.م [٣].

* *

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري ٣٨١/١، التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٥ /١٦-١٧، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٩٧.

(٢) تاريخ مختصر الدول، ابن العبري ص ٣٦، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، لوبون ص ٣٤، تاريخ العالم، هامرتن ١٠٥/٢، آرام دمشق وإسرائيل، فراس السواح ص ٩٢، نقد النص التوراتي، الصمادي ص ٢٤٨، اليهود في العالم القديم، مصطفى كمال، سيد فرج ص ٦٦.

(٣) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، عصفور، ص ٢٧٢-٢٧٣.

المبحث الثالث

المنهج الدعوي في قصة إلياس عليه السلام

المطلب الأول: أساليب ووسائل من خلال الآيات:

الناظر في ثنايا قصص الأنبياء في القرآن سيخرج بيقين أن كلّ قصة ذكرت إنما جاءت لحكمة وأهداف لا تغني عنها القصة الأخرى، فالأهداف من قــصة نوح تختلف في نواحٍ منها عن قصة موسى، وقصة موسى عن قصة عيــسى عليهم السلام جميعاً... وهكذا.

وقد تأمّلت مليًّا في البحث عن حكمة ذكر قصة إلياس عليه السلام مع قومه في القرآن الكريم، وما الشيء المميّز فيها حتى تذكر، بينما تَرَكَ القرآنُ الحديث عن مئات الأنبياء الذين تتقارب أهداف قصصهم مع ما ذُكر في القرآن، فأغنت العبر والحِكم في القصص المذكورة عن تلمّس أخبارٍ ذات أهداف مكرورة.

ورأيت أن قصة إلياس عليه السلام تميّزت بالتالي:

١/ عبادة (بعل) من أعظم ما فُتن به الناس في التاريخ عبر مئات الــسنين، وفي مواقع شاسعة من العالم، ولا تزال آثاره شاهدة على ذلك حتى يومنا هذا، وما تزال آثار مدينة بعلبك تدل على آثار هذه العبادة. وأصبح مزاراً للسائحين، وكان الأولى أخذ العبرة والعظة من مصير القوم السابقين.

٢/ لم يكن كُفر قوم (إلياس) من جنس الشرك في العبادة وتوحيد الألوهية، كحال قوم نوح وهود وصالح... وغيرهم عليهم السلام جميعا. بل ظاهر الآية: {وتذرون أحسن الخالقين} أنهم أشركوا في توحيد الربوبية في جانــب الخلــق والرزق، وصرفوا العبادة كاملة لبعل لا سواه، مع اعترافهم بــأن الله أحــسن

الخالقين. فهو شرك في الألوهية وفي الربوبية أيضًا، ونوع من الكفر الصارخ بصرف العبادة بالكلية لغير الله.

والناظر في مقاصد سورة الصافات سيجد لها ارتباطاً عميقاً وواضحاً بأهداف قصة إلياس عليه السلام في ثناياها، فقد كان من أعظم مقاصدها إثبات وحدانية الله تعالى، وسوق دلائل كثيرة على ذلك، دلت على انفراده بصنع المخلوقات العظيمة التي لا قبل لغيره بصنعها، وهي العوالم السماوية بأجزائها وسكانها ولا قبل لمن على الأرض أن يتطرق في ذلك. وإثبات أن البعث يعقبه الحشر والجزاء. وقد جاءت قصة إلياس في عمق هذا الهدف، وقد سيقت في مساق القصص من قبلها وبعدها لتكون نبراساً لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه، بدعوة الرسل من قبله، وكيف نصر الله رسله ورفع شأنهم وبارك عليهم. وأدمج في خلال ذلك شيء من مناقبهم وفضائلهم وقوتهم في دين الله وما نجاهم الله من الكروب التي حفت بهم [١].

وجاءت قصة إلياس عليه السلام بعد الكلام على رسل ثلاثة من أصحاب الشرائع: نوح وإبراهيم وموسى، وكانت قصته بداية الخبر عن ثلاثة أنبياء: إلياس ولوط ويونس عليهم الصلاة والسلام، وما لقوه من قومهم وذلك كله شواهد لتسلية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقوارع من الموعظة لكفار قريش [٢].

ومن قرأ الآيات التي معنا بعين البصيرة سيستلهم خطوطاً عريضة في منهج نبي الله إلياس في الدعوة إلى الله سبحانه، وكثير منها يتفق مع منهج غيره من الأنبياء، فتشكّل بذلك طريقاً مضيئاً لمن أراد أن يسلك دروب الأنبياء واقتفاء آثارهم والاقتداء بهداهم، ولعلّ أهمّ ما توصّل إليه الباحث في منهج إلياس عليه

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٨٢/٢٣.

(٢) المرجع السابق ١٦٥/٢٣.

السلام من خلال الآيات، ما سيذكره على سبيل التقريب لا الترتيب، فكان كالتالي:

١/ **البدء في الدعوة بأهمّ المهمات:**

فدعاهم إلى الله عز وجل ونهاهم عن عبادة ما سواه، وأن يتركوا عبادة صنمهم (١). وبدأ بأهم المهمات وهو توحيد الله عز وجلّ وترك الشرك به؛ فهو سبحانه ربهم الذي خلقهم، وتفضّل عليهم بالنعم.

ويتضح من سياق الآيات أن مدار التقوى هو توحيد الله، والالتجاءُ إليه، والبُعد عن كل ما سواه، والرجوع إلى الله في كل شيء، والاعتماد عليه في كل حال (٢).

والاستفهام هنا: {أتدعون بعلاً} للتوبيخ والإنكار والتسفيه، و(تدعون) بمعنى تعبدون، فإن الدعاء يسمى عبادة، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي ...﴾ [غافر: ٦٠] ولم يقل (عن دعائي)، وهذا يدل على أن الدعاء يراد به العبادة. ويحتمل أن يكون المراد بدعوتهم هذا الصنم دعوة المسألة وأنهم يستغيثون بهذا الصنم وإن لم يركعوا له ويسجدوا له(٣).

ويظهر من اسمه (إلياس) بحسب النص اليوناني أو (إيلياء) العبراني أن رسالته جاءت مطابقة لمعنى اسمه: الرب هو إلهي. فمن اسمه كان هدفه الأسمى: الله هو معبودي لا معبود سواه. ولذلك كان صادحاً وصادعاً بالتوحيد في وجه الوثنية، فمن الله قوّته، ومن الله إعانته.

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٠/٤.

(٢) البحر المديد، ابن عجيبة ٦١٧/٤.

(٣) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٧٤.

وظاهر الآية أن هؤلاء كانوا يعبدون البعل ولا يعبدون الله، ويرون أن (البعل) هو الرب الذي يجب أن يطاع وأن يخشى، وعلى هذا فيكون قوله:{أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين} على ظاهره. ويحتمل أنهم يدعون البعل ويدعون الله، ولكن من دعا غير الله ودعا الله فإن الله غني عنه، فيكون كالتارك لدعاء الله، وعلى هذا فيكون إلياس جعلهم تاركين لله لأنهم أشركوا به، ومن أشرك بالله معه غيره فالله غني عنه وكأنه لم يعبد الله، وعلى هذا فإما أن يكونوا قد تركوا الله على سبيل الحقيقة إذا كانوا يعبدون البعل ولا يعبدون الله، وإما أن يكونوا قد تركوا الله على سبيل الحكم إذا كانوا يعبدون البعل ويعبدون الله [1].

٢/ **أسلوب المقارنة بين المعبودات:**

ففي قوله: (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) يقول: وتَدعون عبادة أحسن مَن قيل له خالق[2]، ولعلّ الآية تشير أيضاً حسب الظاهر إلى الأشياء التي يصنعها الإنسان بعد أن يغيّر شكل المواد الطبيعية، ومن هنا سمّي بالخالق، رغم أنّه تعبير مجازي. ورأي ابن عطية يؤيد أنه من حيث قيل للإنسان على التجوز إنه يخلق، وجب أن يكون تعالى {أَحْسَنَ الْخالِقِينَ} إذ خلقه اختراع وإيجاد من عدم وخلق الإنسان مجاز[3].

٣/ **وصف الله بما يناسب أن يتوجهوا إليه بالعبادة:**

وأهم تلك الصفات: أ/ الخلق. ب/الرزق. لأن الداعي لا يدعو إلا بكشف ضر أو إلباس نفع، فكان لا يجوز أن يدعو إلا من يقدر على إعدام ما يشاء

---

(١) المرجع السابق ص٢٧٥.

(٢) تفسير الطبري ٩٦/٢١.

(٣) تفسير ابن عطية ٤٨٤/٤.

وإيجاد ما يريد، وهذا سبب استخدام إلياس عليه السلام عبارة: {أحسن الخالقين} وهو من لا يحتاج في الإيجاد والإعدام إلى أسباب.

فالعدول عن اسم (الله) الذي يختص به إلى عبارة {أحسن الخالقين}، لا بد له من حكمة، والحكمة هنا هي إقامة الحجة عليهم بعدم صلاحية معبودهم للعبادة، لأنه لا يستطيع الخلق، والله وحده هو الذي يقدر على الخلق، فالله تعالى أحسن الخالقين، وكلّ من خلق شيئا فالله تعالى أحسن منه خلقاً [١].

ولما كان الإنسان يعلم يقيناً أنه لم يربّ نفسه، بل ربّاه الله ورزقه، وكان الإحسان أعظم عاطف للإنسان، فقد بيّن إلياس عليه السلام لهم ذلك، مذكراً لهم بإحسان الله إليهم بالتربية بعد الخلق من العدم وهي أعظم تربية [٢].

إن استخدام إلياس عليه السلام لهذه المعاني لهو أفضل منبّه للعقل والتفكير، فأهمّ قضيّة في حياة الإنسان هي أن يعرف من الذي خلقه؟ ومن هو مالكه ومربّيه ووليّ نعمته؟

٤/ <u>حسن طريقة العرض:</u>

فالملاحظ أنه استخدم: (ألا تتقون) وابتعد عن الأمر المباشر الذي قد يؤدّي إلى تنفير المخاطب. و(ألا) هنا أداة تحضيض وحث، وليست أداة عرض فقط؛ لأنه لا يقصد عرض التقوى عليهم، ولكنه يحضّهم على هذا.

وهذا يدلّ على تلطف إلياس عليه السلام في دعوة قومه، لأنه قال {ألا تتقون}، وهذا للعرض والحث، ولم يقل لهم: اتقوا الله. مع أن باستطاعته أن يأمرهم، ولكن ينزّل كل مخاطب وكلّ حال بمنزلته وبما يليق به، وبحسب ما تقتضيه مصلحة الدعوة.

---

(١) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٧٤.

(٢) نظم الدرر، البقاعي ٢٨٥/١٦.

والصحيح في مفعول التقوى ههنا أنه عام، فكأنه يقول: ألا تتقــون الله، ألا تتقون النار، ألا تتقون يوم الحساب. فحذفت الآية المفعول لتشمل كل ذلك، ولا ينبغي إذا دلت الآية على معنى أعم أن نقيدها بمعنى أخصّ؛ لأن هــذا يعتبــر نقصاً في تفسير الآية بل إذا جاءت الآية عامة فلتبق على عمومها، وإذا جاءت مطلقة فلْتَبْقَ على إطلاقها [١].

٥/ **الحثّ والاستعطاف :**

وذلك بذكر معبود آبائهم الأولين وهو الله سبحانه: {اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ} فيناديهم النبي عليه السلام: ذلك معبودكم أيها الناس الذي يستحق منكم العبادة: ربكم الذي خلقكم، وربّ آبائكم الماضين قبلكم، لا الصنم الذي لا يخلق شيئا، ولا يضرّ ولا ينفع[٢]. قرأ حمزة والكسائي وعاصم: {اللَّــهَ ربَّكــم وربَّ آبائكم} كلُّ ذلك بالنَّصبِ بَدَلاً أو صفة لأحسن الخالقين، ليكون الكلام فيه وجه واحد ، وقرأ الباقونَ كلَّ ذلكَ بالرفعِ على القَطْعِ والاستئناف[٣]. وقد رُوي عــن حمزةَ أنَّه كان إذا وَصَلَ نَصَبَ، وإذا وَقَفَ رَفَع. وقد استحسنها السمين الحلبــي جداً، وزعم أن فيها جَمْعاً بين الرِّوايَتيْن[٤]. وقال الطبري بعد ذكره للقــراءتين: "والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، مع استفاضة القراءة بهما في القرّاء، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب[٥] ".

والمراد هنا: كلّ من هو أول لهم، فشمل ذلك آباءهم الأقربين، ومَن قــبلهم إلى آدم عليه السلام [٦]. والظاهر هنا أنّ المشركين في زمان إلياس، قالوا– كما

(١) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٧٣ وص٢٨١.
(٢) تفسير الطبري ٩٩/٢١.
(٣) السبعة، ابن مجاهد ص٥٤٩، العنوان في القــراءات، أبــو الطــاهر ص١٦٢، حجــة القراءات، ابن زنجلة ص٦١٠.
(٤) الدر المصون، السمين الحلبي ٣٢٨/٩.
(٥) تفسير الطبري ٩٩/٢١.
(٦) نظم الدرر، البقاعي ٢٨٦/١٦.

قال المشركون في زمان نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم- إنّنا نتّبع سنن أجدادنا الأوّلين، فأجابهم إلياس عليه السلام بقوله: (الله ربّكم وربّ آبائكم الأوّلين).

كما أن في ذكر الآباء الأولين إشارة إلى أن الله عز وجل هو الذي بيده خلق الحياة والموت، فإن هؤلاء الآباء الأولين أماتهم الله، فيذكّر هؤلاء بأنهم سوف يموتون كما مات آباؤهم الأولون. والإنسان إذا كان له قلب وذكر بالموت، وأنه سوف ينتقل من حياة العمل إلى حياة الجزاء فلابد أن يلين قلبه، وأن يعمل للدار المستقبلة[1].

٦/ **ذكر سبب الإنكار:**

فهو حين قال لهم: (ألا تتقون) "فإن ما أنتم عليه يقتضي شراً طويلاً، وعذاباً وبيلاً، وما أنتم عليه من السكون والدعة يقتضي أنه لا خوف عندكم أصلاً، وذلك غاية الجهل والاغترار بمن تعلمون أنه لا خالق لكم ولا رازق غيره. ولما كان هذا الإنكار سبباً للإصغاء، كرره مفصحاً بسببه فقال: {أتدعون بعلاً}[2] ". يقول الرازي: "أَلا تَتَّقُونَ أَيْ أَلَا تَخَافُونَ اللَّهَ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ أَلَا تَخَافُونَ عِبَادَةَ غَيْرِ اللَّهِ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا خَوَّفَهُمْ أَوَّلًا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ ذَكَرَ مَا هُوَ السَّبَبُ لِذَلِكَ الْخَوْفِ فَقَالَ: أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخالِقِينَ[3] ".

والذي يلفت الانتباه هنا أن النصّ القرآني ذكر اسم الصنم صريحاً (بعل)، بينما أغفل في أغلب قصص الأنبياء ذكر معبودات أقوامهم -سوى قوم نوح ومحمد عليهما الصلاة والسلام-، ولعلّ السرّ في ذلك يرجع إلى ثلاثة أمور:

(١) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٧٧.
(٢) نظم الدرر، البقاعي ٢٨٤/١٦.
(٣) تفسير الرازي ٣٥٣/٢٦.

١/ افتتان كثير من الناس بهذا الصنم، فهو معبود بلاد الشام جميعهـا: أي سورية ولبنان وشرق الأردن وفلسطين قبل الميلاد المسيحي، وكان كذلك في جنوب جزيرة العرب وفي العراق أيضاً، حيث يبدو أنه من آلهة الجـنس العربي الرئيسة(١).

٢/ استمرار الفتنة به أزمنةً متطاولة.

٣/ كانوا يرون فيه أنه المتصرف في أحوال العـالم مـن دون الله، استقلالاً لا تبعاً؛ حتى تركوا عبادة الله بالكلّية.

٧/ **استخدام الحجج العقلية:**

لقد كان أسلوب إلياس– عليه السلام– قائماً على الإقناع، حيث بنى استفهامه باستغراب من قومه الذين كانوا يعبدون إلهاً من دون الله، ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ. ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [سـورة الـصافات: ١٢٥– ١٢٦] وكأنه يقول لهم: كيف للعقل الإنساني الذي خلقه الله في أحـسن تقويم أن يقبل عبادة صنم من صنع يديه، ويترك عبادة من خلقه ابتداءً، ورزقه وربّاه ، فيا للغرابة!

ومن أجل الوصول إلى الإقناع الفكري السليم، وحتى يكون لـدى الفـرد قناعة حقيقية من داخل نفسه، فإنه ينبغي أن نسلك مسلك النبي عليه الـسلام الذي ناقش وأقنع بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن (٢).

٨/ **الوصف البيّن للمنكر الواقع مع فصاحة اللسان:**

الفصاحة: ملكة تعين صاحبها على أحسن التعبير عن المقصد في سهولة ويسر. وتعدّ الفصاحة والقدرة على البيان مـن أهـمّ المقوّمـات الأساسـية

---

(١) التفسير الحديث، محمد عزة دروزة ٢٢٩/٤.

(٢) الأخلاق الإسلامية، حبنكة ٢٠٥/١

المطلوب توافرها لدى كلّ داعية. وهذا أمر معلــوم بداهــة؛ إذ إنَّ مباشــرة الأفراد بالخطاب مما يرسخ صورة واضحة عن شخصيّة القائد لدى أتباعــه، كما أنه يسهم في توضيح الأفكار بشكل كبير. ويبقى أيضاً مع ذلك أن البيان والخطاب، كلما كان فصيحاً بليغاً كان له تأثير ووقع على نفوس المــستمعين وقلوبهم. وصدق النبي صلى الله عليه وسلم حــين قــال: {إن مــن البيــان لسحراً}(١).

"وكَانَ الْمُلَقَّبُ بِالرَّشِيدِ الْكَاتِبِ يَقُولُ لَوْ قِيلَ: أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَــدَعُونَ أَحْــسَنَ الْخَالِقِينَ. أَوْهَمَ أَنَّهُ أَحْسَنُ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ تَحْصُلُ فِيــهِ رِعَايَــةُ مَعْنَــى التَّحْــسِينِ وَجَوَابُهُ: أَنَّ فَصَاحَةَ الْقُرْآنِ لَيْسَتْ لِأَجْلِ رِعَايَةِ هَذِهِ التَّكَالِيفِ، بَــلْ لِأَجْــلِ قُــوَّةِ الْمَعَانِي وَجَزَالَةِ الْأَلْفَاظِ(٢)". وقد أطال الألوسي في الجواب عــن ذلــك بتــسعة أجوبة ولم يرجح بينها، ولعلّ أحسنها: " أنّ (يدع) أخصّ من (يذر)؛ لأنه بمعنى ترك الشيء مع اعتناء به، بشهادة الاشتقاق نحو الإيداع فإنه ترك الوديعة مــع الاعتناء بحالها، ولهذا يختار لها من هو مؤتمن، ونحوه موادعة الأحباب، وأما (يذر) فمعناه الترك مطلقاً أو مع الإعراض والرفض الكلي... إذ المراد تبــشيع حالهم في الإعراض عن ربهم(٣)". وهو المعنى الذي أكّده البقاعي بقوله: "ومادة

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)،كتاب الطب، باب (إن من البيان لــسحراً)، ٢٠٢/١٠، حديث رقم ٥٤٣٤؛ ومالك في (الموطأ)، كتاب الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله، برقم ١٧٨٣، ٩٨٦/٢؛ وأبو داود في (سننه)، كتاب الأدب، باب ما جاء في التشدق بالكلام، برقم ٥٠٠٩ ، ٤٥٩/٤؛ والترمذي في (سننه)، كتاب البر، باب ماجاء فــي أن من البيان لسحراً ، برقم ٢٠٢٩.

(٢) تفسير الرازي ٢٦/ ٣٥٤.

(٣) تفسير الألوسي ١٣٣/١٢-١٣٤.

(وَذَر) تدور على ما يكره، فالمعنى: وتتركون ترك المهمل الذي من شأنه أن يزهد فيه، ولو قيل: وتدعون – تهافتاً على الجناس لم يفد هذا وانقلب المراد[1]".

٩/ <u>**التخويف من الله:**</u>

ففي قوله سبحانه: (فكذبوه فإنهم لمحضرون) يقول: فإنهم لمحضرون في عذاب الله فيشهدونه[2]. وإنما أطلقه اكتفاء منه بالقرينة، أو لأن الإِحضار المطلق مخصوص بالشر عرفاً[3]. والفاء هنا للسببية: أي: فبسبب تكذيبهم إنهم لمحضرون، أي محضرون إلينا يوم القيامة وسيجازون على ذلك، وأما قول من قال إنهم محضرون في النار ففي ذلك نظر؛ لأنه لم يسبق للنار ذكر، والله توعد هؤلاء بأنهم سوف يحضرون إلى الله وسوف يجازيهم. وعلى هذا فيكون الاستثناء منقطعاً، والمعنى: لكن عباد الله المخلصين سوف ينجون من هذا الحضور، أي من العذاب الذي يترتب على هذا الحضور[4].

والإحضار في حدّ ذاته أمام ربّ العالمين، فيه ما فيه من التخويف والترهيب، حيث لا مفرّ ولا مهرب، ويترقّب حينها المسيء عقوبته، ويلقى جزاءه، فالمؤدى واحد في الإحضار. خصوصاً وأن فعل (الإحضار) نُسب إلى المجهول، فالمشرك أحقر من أن ينسب الله إحضاره لذاته العليّة، وكم من جند الله من هو مستعدّ لهذه المهمة وهذا التكليف! والمشرك في كلّ حال مُحضرٌ لا محالة أمام مالك يوم الدّين. وقد تأكد إحضاره بمؤكدين من الحروف (إنّ) و(اللام): {فإنهم لمحضرون}.

---

(١) نظم الدرر، البقاعي ٢٨٥/١٦.

(٢) تفسير الطبري ٩٩/٢١.

(٣) تفسير البيضاوي ١٧/٥.

(٤) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٧٨.

وقيل: إن الله لم يهلك قوم إلياس عليه السلام المكذبين بدعوته، فقد قيل إنه بعد موسى لم يهلك المكذبين بعذاب الاستئصال، وقد بعث الله في كل أمة نذيراً، وبالطبع أن إلياس بعد موسى، لذا فقومه لم يهلكوا لذا قال الله فيهم {فكذبوه فإنهم لمحضرون}[1].

وعلّل الزركشي هذا الرأي بقوله: أن الله تعالى قال في سورة الصافات:{فانظر كيف كان عاقبة المجرمين} وهذا يقتضي عاقبة رديئة، ولهذا ذكر قصة إلياس دون غيرها ولم يذكر إهلاك قومه بل قال: {فكذبوه فإنهم لمحضرون}[2].

و(الفاء) في قوله {فكذبوه}، تدلّ على الترتيب والتعقيب لا التراخي، ومع ذلك لا بدّ من وجود مهلة مناسبة بين المعطوف عليه قد تقصر أو تطول، إذ الزمن متروك لكل شيء بحسبه؛ لأن ذلك أمر نسبي يختلف باختلاف الاعتبار[3]. وهي هنا دالّة على التكذيب السريع بدعوة إلياس عليه السلام، ودليل على أن الإنسان مهما بلغ في عرض الدعوة إلى الله وبيانها والعظة فإنه لا يستلزم أن يؤثر فيمن وجه الخطاب إليه لأن إلياس عرض الدعوة عرضاً رقيقاً وبين لهم الأدلة على أن الله وحده مستحق للعبادة ومع ذلك كذبوه.

فلم يكُ إلياس مقصرا ولا فشل في دعوته، لأنه أدى ما عليه وهو البلاغ والهداية، فلو أراد الله بهؤلاء خيراً لانقادوا للهدى[4].

المطلب الثاني: مقامات إلياس عليه السلام ومقوّماته:

برزت ضمن الآيات –رغم قصرها– مقامات ومقوّمات لإلياس عليه السلام، وترتّب عليها جزاءات يانعات؛ أما **المقامات فكانت كالتالي:**

---

(١) البرهان، الزركشي ٣/٣١.
(٢) المرجع السابق ٣/٣٠-٣١.
(٣) مغني اللبيب، ابن هشام ص٢١٤.
(٤) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٨٣.

١/ **العبودية لله:** وقد جاء وصفه بذلك في قوله سبحانه: {إنه من عبادنا}، ومقام العبودية هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها[١]، وذِكر إلياس عليه السلام بوصف العبودية المضافة لله تعالى تنويه به وتقريب، وذلك اصطلاح غالب في القرآن في إطلاق العبدِ والعبادِ مضافاً إلى ضميره تعالى كقوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ ﴾ [ص: ١٧]، وقوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾[ص: ٤٥] وقوله:﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾[الزخرف: ٦٨][٢]

٢/ **الإيمان:** وقد جاء في الآية: {إنه من عبادنا المؤمنين}، والمراد الثناء عليه بهذا المقام والمنزلة، وإذا علق الثناء أو علق الحكم على وصف فإنه يقوى بقوته ويضعف بضعفه، والثناء معلق هنا بالعبودية والإيمان، فكلما كان الإنسان أقوى عبادة كان أحق بالثناء، وكلما كان الإنسان أقوى إيماناً كان أحق بالثناء[٣].

٣/ **الإحسان:** وهو ملمح واضح من قوله سبحانه: {إنا كذلك نجزي المحسنين}، ومقام الإحسان هو لبّ الإيمان، وروحه وكماله، وهذا المقام يجمع جميع المقامات الفاضلة، فجميعها منطوية فيه [٤].

فالإحسان يشمل الإحسان في العبادة، ويشمل الإحسان إلى الخلق بالدعوة. لأن الإحسان نوعان؛ الأول: الفعل الحسن، والإحسان الثاني: إعطاء الحسن وهو الخير، فالأول من قولهم: أحسنوا في كذا، والثاني من قولهم: أحسن إلى فلان [٥].

---

(١) أضواء البيان، الشنقيطي ٣/٨.
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٣/٢٩-٣٠.
(٣) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٥٨.
(٤) مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٤٥٩.
(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٨/٢٧١.

ولا شكّ أن الإيمان والعبودية لله هما منبع الإحسان، والإحسان يؤدّي إلى انضمام المحسن لصفوف المخلصين الذين يشملهم سلام الله.

أما المقوّمات في الآيات فكانت:

١/ **الرسالة:** ولذلك سمى الله النبي إلياس في سورة الصافات بأنه (مرسل) أي رسول: {وإن إلياس لمن المرسلين}، وهو الأمر الذي دفع ابن حجر ليردّ على من زعم أنه ليس بنبي بقوله: " وأغرب ابن التين فجزم أن إلياس ليس بنبي وبناه على قول من زعم أنه أيضاً حي، وهو ضعيف أعني كونه حياً، وأما كونه ليس بنبي فنفي باطل، ففي القرآن العظيم {وإن إلياس لمن المرسلين} فكيف يكون أحد من بني آدم مرسلاً وليس بنبي؟" [(١)].

ولعلّ من زعم أنه ليس بنبي اتّكأ أيضاً على وصفه بالصلاح فقط في قول المولى عز وجل: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ٨٥﴾ [الأنعام: ٨٥] وهي نظرة مجتزأة، لا السياق يخدمها، ولا ما ورد في الآيات الأخرى بسورة الصافات، فثناء الله- عزَّ وجل- على هؤلاء الأنبياء المذكورين في الآية ومنهم إلياس- عليهم السلام أجمعين- بأنهم من الصالحين، يقتضي أن الله هيأهم بصلاحهم لحمل الرسالة والنبوة.

والقرآن يردّ بشكل جليّ على من زعم أن الأنبياء لم يؤمروا بالتبليغ، فإذا لم يقم الأنبياء عليهم السلام بواجب التبليغ فمن الذي سيقوم به إذن. وكل الرسل أنبياء وكل الأنبياء صالحون وكل الصالحين مأمورون بالتبليغ ما دام الصلاح في قلوبهم وأعمالهم.

٢/ **الصلاح:** وصف الله سبحانه إلياس في سورة الأنعام بأنه (من الصالحين)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ

(١) فتح الباري، ابن حجر ٩/٢٦٢ م.

ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥] فقد عدّ إلياس رديف زكريّا ويحيى وعيسى عليهم جميعاً السلام، وفي هذا إشارة إلى أنّ هدايته واجتباءه وتفضيله كان من نوع هدايتهم عليهم السلام.

وهذا المعنى منظور في كلّ مورد ذكرت أسماء الأنبياء عليهم السّلام في مقام ذكر فضلهم واجتبائهم وهدايتهم وكيفيّة سلوكهم والعمل برسالتهم، وليس في الآيات دلالة على تقدّم زمانهم أو تأخّره، فإنّه أمر مادّي تاريخي لا ربط فيه إلى النبوّة والرسالة والهداية والتبليغ. فيستفاد من الآية الكريمة أنّ إلياس عليه السلام كان في حالة من التجرّد والانقطاع والتوجّه التامّ والتبتّل الخالص والعبوديّة الكاملة[١].

ومن الخطأ اعتقاد أن الصالح قد يكون صالحاً في نفسه فقط، بدون أن يكون له دور في إصلاح الآخرين، فإن من مقتضى الصلاح قيامه بواجب الإصلاح لمجتمعه وقومه، وإلا لم يكن صالحاً بالمعنى الكامل، ولا يمكن أن تقبل عقيدة القرآن بوجود انفصام بين الصلاح والإصلاح.

أمّا الجزاءات والنتائج فكانت كالتالي:

٨/ **جزاء المحسنين:** وذلك أن الجزاء من جنس العمل {إنا كذلك نجزي المحسنين}، فكما أحسن إلياس عليه السلام في عبادة الله فقد أحسن الله إليه، وقد قال الله عز وجل في سورة الرحمن: {هل جزاء الإحسان إلا الإحسان}، يعني ما جزاء الإحسان إلا الإحسان [٢]. وقد بيّن الله عظيم فضله على عباده الذين أحسنوا حيث يجزيهم بالحسنى وزيادة كما قال تعالى: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة}.

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي ١/١٤٠.

(٢) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٥٣.

٦/ **بقاء الثناء عليه إلى يوم الدين:** ففي قوله تعالى: {وتركنا عليه في الآخرين} يقول: وأبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين من الأمم بعده[١]، وقد قال جماعة من المفسرين منهم مجاهد وقتادة: وتركنا عليهم في الآخرين الثناء الحسن ولسان الصدق للأنبياء كلهم، وتفسير المتروك هنا بلسان الصدق والثناء الحسن تفسير بلازم السلام وموجبه، وهو الثناء عليهم وما جعل لهم من لسان الصدق الذي لأجله إذا ذكروا سلم عليهم [٢].

وقد جاء الثناء على إلياس عليه الصلاة والسلام بسبب ما اتصف به من كمال الإحسان وتمام العبودية والإيمان، وجهاده في الدعوة إلى التوحيد؛ وكلّ من اتصف بذلك ناله من الثناء بقدر ما اتصف به، ولذلك كان الثناء على إلياس عليه السلام أكثر وأعظم. وهذا الثناء يشمل كل الأزمنة ممن سيأتي بعده إلى يوم الدين[٣]؛ أي أنّ الأمم القادمة لن تنسى الجهود الكبيرة التي بذلها الأنبياء الكبار من أجل حفظ التوحيد، وسقاية شجرة الإيمان، وما دامت الحياة موجودة في هذه الدنيا فإنّ رسالتهم ستبقى حيّة وخالدة. وسيبقى الثناء عليهم حسنا وسلاما في الآخرين بما حصل منه من كمال الدعوة إلى الله عز وجل.

٧/ **سلام الله عليه:** وذلك ظاهر من قوله سبحانه: {سلام على إل ياسين}، والسلام من الله تعالى يعني السلامة من النقائص والعيوب التي تعتري البشر، ومن الثناء القبيح الواقع عليه من غيرهم[٤].

---

(١) تفسير الطبري ٩٩/٢١.

(٢) جلاء الأفهام، ابن القيم ص٤٥٧.

(٣) نظم الدرر، البقاعي ٢٨٦/١٦.

(٤) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٤٦.

أما السلام من البشر فهو اسم جامع لكلّ خير؛ لأنه إظهار الشرف والإقبال على المسلَّم عليه بكل ما يريد[١]، وهذا المعنى قد جاء في قراءة ابــن مــسعود [وتركنا عليه في الآخرين. سلاماً...] بالنصب، ويظهر لنا بهذه القراءة معنــى آخر، فهو يدلّ على أن المتروك هو السلام نفسه، ولو كان السلام منقطعاً ممــا قبله لأخلّ ذلك بفصاحة الكلام وجزالته، وتأمل هذا بحال السامع إذا سمع قوله: {وتركنا عليه في الآخرين} كيف يجد قلبه متشوقاً إلى تمام الكلام واجتناء الفائدة منه، ولا يجد فائدة الكلام انتهت ليطمئن عندها بل يبقى طالبا لتمامهــا وهــو المتروك. ومعلوم أن هذا السلام هو سلام العالمين عليه، كلهم يسلم عليه ويثني عليه فذكره بالسلام عليه فيهم [٢]. وحتى على قراءة (آل ياسين) يدخل النبــي إلياس عليه السلام دخولاً أوليــاً ولا شــكّ فــي ذاك، قــال النحــاس: "كأنــه – والله أعلم– جعل اسمه إلياس وياسين ثم سلم على آله؛ أي: أهل دينه ومــن كان على مذهبه، وعلم أنه إذا سلم على آله من أجله فهو داخل في السلام؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: {اللهم صلّ على آل أبي أوفى}[٣]، فهو داخــل فيهم لأنه هو المراد بالدعاء، وقال جلّ وعزّ: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَــذَابِ} [غافر: ٤٦] [٤]".

(١) نظم الدرر، البقاعي ٢٨٦/١٦.

(٢) جلاء الأفهام، ابن القيم ص ٤٥٨–٤٦١.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة رقم الحديث (١٥٩٠) ، وابن ماجة في ســننه، كتب الزكاة رقم الحديث (١٧٩٦) .

(٤) إعراب القرآن، النحاس ٢٩٤/٣.

المطلب الثالث: صفات أتباع إلياس المؤمنين:

أشارت الآيات إشارة واضحة إلى أتباع إلياس عليه السلام المؤمنين الذين استجابوا لدعوته، في ثلاث آيات:

١/ { إلا عباد الله المخلصين} وهي صريحة فيهم.

٢/ {سلام على آل ياسين} وهي صريحة على قراءة (آل)، ووجه في توجيه قراءة (إلياسين).

٣/ {إنا كذلك نجزي المحسنين} فقد جاءت بعد{سلام على آل ياسين} فدلّت على أنهم يدخلون ضمناً في منزلة (المحسنين).

وهذه الآيات الثلاثة تضمنت **ثلاث صفات لهم، ونتيجة** رفع الله بها ذكرهم وأعلى شأنهم، وخلّد بها في القرآن موقفهم، وهي كالتالي:

١/ **العبودية لله:** ففي قوله: (إلا عباد الله المخلصين) يقول: فإنهم يحضرون في عذاب الله، إلا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب[1]. والأقرب في هؤلاء أنهم الذين علموا ما لهم من مجامع العظمة فعملوا بما علموا فلم يدعوا غيره سبحانه ولم يكذبوا؛ وقد وصفهم الله بما أشار إليه من الوصف بالعبودية والإضافة إلى الاسم الأعظم فقال: {عباد الله} ثم وصفهم بـ{المخلصين} أي لعبادته فلم يشركوا به شيئاً جلياً ولا خفياً، فإنهم ناجون من العذاب[2]. وربما كان التوحيد موجوداً فيهم من سابق والشرك طارئ، وقد بقيت منهم بقية على التوحيد، وهو ما أشار إليه الرازي[3].

وكما أن في الآية بيان أن العباد المخلصين لا ينالهم عذاب هؤلاء، لكن ذلك العذاب هو الذي يكون في الآخرة قطعاً، أما في الدنيا فإنه يوشك أن يعمّ الله

(١) تفسير الطبري ٩٩/٢١.
(٢) نظم الدرر، البقاعي ٢٨٦/١٦.
(٣) تفسير الرازي ٣٥٤/٢٦.

تعالى الصالح والفاسد بالعذاب ولاسيما إذا قصّر الصالح في الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر[(١)].

وقد رأى بعض المفسرين في الاستثناء أنه استثناء منقطع مـن مثبـت[(٢)]، والصحيح أنه "استثناءٌ متصلٌ مِنْ فاعلِ {فكذَّبوه} وفيه دلالةٌ على أنَّ في قومِه مَنْ لم يُكَذِّبْه، فلذلك اسْتُثْنُوا. ولا يجـوزُ أَنْ يكونـوا مُـسْتَثْنَيْن مِـنْ ضـمير {لَمُحْضَرون}؛ لأنه يَلْزَمُ أَنْ يكونوا مَنْدَرجين فيمَنْ كَذَّبَ، لكنهم لـم يُحْـضَروا لكونِهم عبادَ اللَّهِ المُخْلَصين- وهو بَيِّنُ الفسادِ- لا يُقال: هو مستثنى منه استثناءً منقطعاً؛ لأنه يَصيرُ المعنى: لكنَّ عبادَ اللَّهِ المخلصين مـن غيـر هـؤلاء لـم يُحْضَروا، ولا حاجةَ إلى هذا بوجهٍ، إذ به يَفْسُدُ نَظْمُ الكلامِ [(٣)]".

وحاصل هذا أن الله وصفهم بصفة، العبودية لله. والعبودية نوعان: عامـة وخاصة؛ فالعبودية العامة عبودية أهل الـسماوات والأرض كلهـم لله، بـرّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك. وأمـا النـوع الثـاني فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر؛ وإنما انقسمت العبودية إلـى خاصـة وعامة؛ لأن أصل معنى اللفظة الذل والخضوع، يقال: طريق معبّـد إذا كـان مذللاً بوطء الأقدام، وفلان عبّده الحب إذا ذلّله، لكنّ أولياءه خضعوا له وذلّـوا طوعاً واختياراً وانقياداً لأمره ونهيه، وأعداؤه خضعوا له قهراً ورغماً.

فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته، ولا يجيء في القرآن إضافة العباد إليه مطلقاً كهذه الآية إلا لهؤلاء[(٤)].

---

(١) تفسير سورة الصافات، ابن عثيمين ص٢٨٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٢٠.

(٣) الدر المصون، السمين الحلبي ٩/٣٢٨، وكلامه مستقى من كلام أبي حيـان (البحـر المحيط ٩/١٢٢).

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم ١/١٠٥-١٠٦.

٢/ **الاصطفاء والإخلاص:** فقد وصفهم سبحانه بـ{المخلَصين} وهي صفة (عباد الله)، وهو بفتح اللام: إذا أريد الذين أخلصهم الله لولايته، وبكسرها: أي الذين أخلصوا دينهم لله. فقرأه نافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف بفتح اللام، وقرأه ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بكسر اللام [(١)]. "وَالْمَعْنَى عَلَى قِرَاءَةِ الْكَسْرِ: أَنَّهُمْ أَخْلَصُوا لِلَّهِ، وَعَلَى قِرَاءَةِ الْفَتْحِ: أَنَّ اللَّهَ اسْتَخْلَصَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ[(٢)]".

وحقيقة الفرق بينهما: أن الصادق والمخلِص بالكسر من باب واحد وهو من تخلّص من شوائب الصفات النفسانية مطلقاً، والصدّيق والمخلَص بالفتح من باب واحد وهو من تخلص من شوائب الغيرية أيضاً، والثاني أوسع فلكًا وأكثر إحاطة، فكل صدّيق ومخلَص هو في حقيقته صادق ومخلِص من غير عكس، فرحم الله حفصاً حيث قرأ بالفتح حيثما وقع في القرآن[(٣)]؛ فيكون المعنى: إلا عبادك الذين استخلصتهم لطاعتك، وصنتهم عن اقتراف ما نهيتهم عنه.

والمخلَص هو المصطفى، كقوله تعالى (وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى)، فاصطفاء الله لهم فيه من التنويه بشأن عباد الله المخلصين، ومن المديح لهم بقوة الإيمان، وعلوّ المنزلة، وصدق العزيمة، وضبط النفس، وفي ذلك إشارة إلى أعلى مراتب التكريم.

٣/ **الإحسان:** والإحسان هنا بمعناه الواسع الذي يشمل العمل بكلّ السنن والواجبات، ومن ثمّ الجهاد ضدّ كافّة أشكال الشرك والانحراف والذنوب والفساد.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠/٢٣.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٤٧٠/٤.

(٣) روح البيان، إسماعيل حقي ٤٥٨/٧.

ثم كانت **النتيجة** أن أثنى الله سبحانه وتعالى على آل ياسين، فقال سبحانه: (سلام على إل ياسين). والسلام على أتباع إلياس يظهر من توجيه القراءتين:

أ/ فعلى قراءة من قرأ (آل ياسين): فالتوجيه ظاهر وجليّ، وقد قال أصحاب سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأهل الشام في (آل ياسين): إنهم قومه ومن كان على دينه واحتجوا بالقرآن «أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ»(١).

ولكن بعض المفسرين أغرب في توجيه هذه القراءة فقال: إن (ياسين) اسم أبي إلياس، فأضيف إليه (آل) (٢)، وهو ما رجحه الرازي (٣).

وقيل: إن (ياسين) اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون آل ياسين أي آل محمد(٤)، وهو ما جزم به أبو القاسم النيسابوري في تفسيره (٥).

واستبعد هذا التوجيه بـ"أنَّ الله تعالى إنما أخبر في كل موضع ذكر فيه نبياً من الأنبياء في هذه السورة بأن السلام عليه، فكذلك السلام في هذا الموضع على إلياس المبدوء بذكره(٦) ". وكذلك الواحدي من قبله حيث قال: وهذا بعيد؛ لأن ما بعده من الكلام وما قبله لا يدلّ عليه(٧).

---

(١) مجاز القرآن، أبو عبيدة، ١٧٤/٢.
(٢) تفسير النسفي ٢٧/٤، تفسير الألوسي ١٤١/٢٣.
(٣) تفسير الرازي ١٤١/٢٦.
(٤) تفسير ابن كثير ٢١/٤، تفسير القرطبي ١٢٠/١٥، زاد المسير، ابن الجوزي ٨٤/٧.
(٥) إيجاز البيان، أبو القاسم النيسابوري ٧٠٣/٢.
(٦) فتح الباري، ابن حجر ٣٧٣/٦.
(٧) البسيط، الواحدي ١٠٣/١٩ ، وكذلك: معاني القرآن، الفراء ٢/ ٢٩٣، بحر العلوم، السمرقندي ٣/ ١٢٣، تفسير البغوي ٤١/٤، تفسير القرطبي١٥/ ١١٩. وأطال السهيلي في إبطال هذا القول في التعريف والإعلام ص ١٤٨، وأورد الأدلة على ذلك.

ب/ وعلى قراءة (إلياسين): فالتوجيه يكون على قول من ذكر أنها جمع، فتجعل أصحاب إلياس داخلين في اسمه، فيراد به إلياس وأتباعه من المؤمنين المخلصين فإنهم الأحقاء بأن ينسبوا إليه، كما تقول لقوم رئيسهم المهلب: جاءتكم المهالبة والمهلبون، تريد المهلب ومن معه، وكما تقول: رأيت المحمدين، تريد محمداً وأمته صلى الله عليه وسلم [١].

وقال ابن الهائم الجياني: (إلياسين) يعني إلياس وأهل دينه، جمعهم بالياء والنون كأن كل واحد منهم اسمه إلياس[٢]. وطبقاً لهذا يفهم منها أنّها تخصّ كلّ الذين أطاعوا إلياس والتزموا بنهجه. قال الطبري ناقلاً عن بعض أهل العربية: "وإن شئت ذهبت بإلياسين إلى أن تجعله جمعاً، فتجعل أصحابه داخلين في اسمه... فيكون بمنزلة قولهم الأشعرين بالتخفيف، والسعدين بالتخفيف وشبهه[٣]". وردّه الزمخشري بأنه لو كان جمعاً لعرّف بالألف واللام[٤]. وأيّده السمين الحلبي في ذلك [٥]، "لكن هذا غير متفق عليه، قال ابن يعيش في شرح المفصل: يجوز استعماله نكرة بعد التثنية والجمع نحو زيدان كريمان وزيدون كريمون، وهو مختار الشيخ عبد القاهر[٦] ".

وقد وقع اختلاف بين أهل التفسير في تحديد المراد من (إل ياسين)، وهل هو فرد أم جماعة؟ وإن كان فرداً فمن ذاك المقصود؟ وقد قال ابن القيم بعد أن

---

(١) معاني القرآن، الفراء ٢/ ٣٩١ – ٣٩٢، تفسير الطبري ٢٣/ ٩٤، تفسير الماوردي ٥/ ٦٥، تفسير الألوسي ١٤١/٢٣، تفسير القرطبي ١١٩/١٥، تفسير ابن الجوزي ٨٢/٧.

(٢) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم ٣٥٤/١.

(٣) تفسير الطبري ١٠٢/٢١.

(٤) تفسير الزمخشري ٦٠/٤.

(٥) الدر المصون، السمين الحلبي ٣٢٩/٩.

(٦) تفسير الألوسي ١٣٥/١٢.

استعرض الأقوال: " والصواب- والله أعلم- في ذلك أن أصل الكلمة (آل ياسين) كآل إبراهيم، فحذفت الألف واللام من أوله لاجتماع الأمثال، ودلالة الاسم على موضع المحذوف، وهذا كثير في كلامهم، إذا اجتمعت الأمثال كرهوا النطق بها كلها، فحذفوا منها ما لا لبس في حذفه، وإن كانوا لا يحذفونه في موضع لا تجتمع فيه الأمثال، ولهذا يحذفون النون من إني وأني وكأني ولكني، ولا يحذفونها من ليتني، ولما كانت اللام في (لعل) شبيهة بالنون حذفوا النون معها، ولا سيما عادة العرب في استعمالها للاسم الأعجمي وتغييرها له، فيقولون مرة: إلياسين. ومرة: إلياس، ومرة: ياسين، وربما قالوا: يأس. ويكون على إحدى القراءتين: قد وقع السلام عليه، وعلى القراءة الأخرى: على آله [(١)]".

وقد أسلفت سابقاً حين ذكر القراءات فيها، أن السلام ليس محصوراً على إلياس عليه السلام، بل هو عامّ له ولأتباعه في ظاهر وجه القراءة بـ (آل ياسين)، وقد يكون خاصا به في ظاهر وجه قراءة (إلياسين)، وأن كلا المعنيين مقصود، وأن منزلة القراءة من القراءة هي بمنزلة الآية من الآية، ولا تعارض بين القراءتين، فنحملهما على المعنيين، والقرآن حمَّالٌ ذو وجوه.

* *

---

(١) التفسير القيم، ابن القيم ص٤٤٩.

الخاتمة

انقضت هذه المسيرة في أفياء الآيات، ولطائف الإشارات، ودقائق العبارات؛ وقد آن لنا أن نستلهم منها أهمّ النتائج والمحطّات، ومن ذلك:

- أن اسم (إلياس) اسم مشتق من قولهم: رجل أَلْيَس: أي شجاع لا يفرُّ، وهذا المعنى موجود في اللغات الساميّة القديمة التي هي من أصول اللغة العربية.
- لا مانع من الجمع بين المعنيين والقراءتين في {إلياسين- آل ياسين}، وأنه لا يوجد بينهما تضاد؛ فالله سبحانه سلّم على إلياس عليه السلام، وسلّم كذلك على آله وهم أتباعه من المؤمنين، لأن منزلة القراءة من القراءة كمنزلة الآية من الآية.
- يدلّ النصّ القرآني أن إلياس عليه السلام هو (إلياس) وليس ما سواه من شخصيات الأنبياء الآخرين، وأن ما حكاه البعض من حياته إلى آخر الزمان ما هو إلا ضربٌ من الخرافة.
- إلياس عليه السلام لم يكن من بني إسرائيل، ولا قومه الذين دعاهم أيضاً؛ فالجميع كانت أصولهم من الفينيقيين الكنعانيين القاطنين في مدينة بعلبك، وما حولها.
- لم يذكر (العهد القديم) نسب إلياس، ولم يعرفوا أصله، وما نُقِل عن وهب بن منبه قد جاء من طريق واحد، وفي سنده ضعف شديد ونكارة.
- برزت ضمن الآيات -رغم قصرها- مقامات رفيعة ومقوّمات تأهيلية لإلياس عليه السلام، وترتّب عليها جزاءات عظيمة لهذا النبي الكريم.
- سبب ذكر اسم الصنم صريحاً (بعل) افتتان كثير من الناس به على البُعدين الزماني والمكاني، واعتقادهم أنه المتصرف في أحوال العالم من دون الله، استقلالاً لا تبعاً.
- تميّزت دعوة إلياس عليه السلام بثبات المنهج الذي سار عليه الأنبياء، وتنوّع الأساليب الجاذبة للمدعوين.
- تضمنت الآيات ثلاث صفات لأتباع إلياس عليه السلام، ومكافأة رفع الله بها ذكرهم وأعلى شأنهم، وخلّد بها في القرآن موقفهم.

ثبت المراجــع والمصادر

- **آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التــوراتي**، الــسواح، فــراس، دمشق: دار علاء الدين، ط١، ١٩٩٥م.
- **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق: سعيد المندوب، لبنان: دار الفكر، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
- **الأخلاق الاسلامية وأسسها**، الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكــة، دمــشق: دار القلم، ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- **أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن**، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- **إعراب القرآن**، النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بــن يــونس المرادي، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتــب العلميــة، بيــروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- **إيجاز البيان عن معاني القرآن**، أبو القاسم النيسابوري، بيان الحق محمــود ابن أبى الحسن الغزنوي، تحقيق: حنيف القاسمي، دار الغــرب الإســلامي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- **بحر العلوم**، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، تحقيق: علي معــوض، وعادل أحمد، وزكريا النوتي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ.
- **البحر المحيط**، أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: عــادل عبــد الموجود - علي معوض، بيروت: دار الكتب العلميــة، ط١، ١٤١٣هــ-١٩٩٣م.
- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ابن عجيبة، أبو العباس أحمــد بــن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي، المحقق: أحمد القرشي رســلان، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

- **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق: محمد علي النجار وعبد العليم الطحاوي، مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٦، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة دار الهداية، الرياض، د.ت.
- **تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)**، ابن خلدون، عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- **تاريخ الأمم والملوك**، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ.
- **تاريخ العالم**، هامرتن، جون.أ.، ترجمة :إدارة الترجمة بوزارة المعارف المصرية، مكتبة النهضة المصرية، د.ت.
- **تاريخ مختصر الدول**، ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج ابن اهرون الطبيب، صحّحه: أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت، دار الرائد اللبناني، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- **التبيان في تفسير غريب القرآن**، ابن الهائم، شهاب الدين أحمد بن محمد الجياني المصري، تحقيق: فتحي الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

- **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، المصطفوي، حسن، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، ط١، ١٣٨٥هـ.
- **التسهيل لعلوم التنزيل**، ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- **تفسير ابن أبي حاتم**، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، لبنان، صيدا: المكتبة العصرية، د.ت.
- **التفسير البَسِيط**، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي، عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط١، ١٤٣٠ هـ.
- **تفسير البيضاوي**، البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، بيروت: دار الفكر.
- **التفسير الحديث**، دروزة، محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣ هـ.
- **تفسير سورة الصافات**، العثيمين، محمد بن صالح، دار الثريا، الرياض، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م.
- **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الرياض: دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- **التفسير القيّم**، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- **التفسير المظهري**، المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، ١٤١٢ هـ.

- **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، حققه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- **تهذيب اللغة**، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م.
- **التيسير في القراءات السبع**، أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان ابن سعيد بن عمرو، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- **جامع البيان في تأويل آي القرآن [تفسير الطبري]**، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق: محمود شاكر وأحمد شاكر، دمشق: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، تحقيق: سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، المحقق: شعيب الأرناؤوط- عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة – الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: علي ناصر- عبدالعزيز العسكر- حمدان الحمدان، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن مخلوف، المحقق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

- **حجة القراءات**، ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة، تحقيق : سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م.
- **الحجة في القراءات السبع**، ابن خالويه، الحسين بن أحمد، المحقق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، الطبعة الرابعة،١٤٠١هـ.
- **الحجة للقراء السبعة**، أبو علي الفارسيّ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، دار المأمون للتراث، دمشق / بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
- **حياة إيليا والخدمة النارية**، القس داود لمعي، إعداد: ليليان الفي، دار نوبار للطباعة، مصر الجديدة، ط١، ٢٠٠٩م.
- **حياة إيليا وسرّ قوّته**، ف.ب.ماير، ترجمة: القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م.
- **الحياة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم والحوليات الآشورية**، إبراهيم خليل خلايلي، رسالة دكتوراه ٢٠٠١م، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- **الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون**، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، تحقيق: أحمد الخراط، دمشق: دار القلم، د.ت.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، مصر: دار هجر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- **روح البيان في تفسير القرآن (تفسير حقّي)**، حقّي، إسماعيل بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، بيروت: دار إحياء التراث العربى، د.ت.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الألوسي، شهاب الدين محمود البغدادي، دار التراث، القاهرة، د.ت.

- **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن محمد، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ.
- **السبعة في القراءات**، أبو بكر بن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
- **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**، البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.
- **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ
- **العنوان في القراءات السبع**، أبو الطاهر، إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الأنصاري السرقسطي، المحقق: زهير زاهد – خليل العطية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد اليعمري الربعي، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد ابن حسين القمي، المحقق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر، أحمد بن علـي العـسقلاني، دار طيبة -الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، الـشوكاني، محمد بن علي بن محمد، دمشق: دار الخير، ط١، ١٤١٢هـ.
- **قصص الأنبياء**، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: مـصطفى عبـد الواحـد، دار التـأليف، القـاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.
- **الكتاب المقدّس (العهد القديم والعهد الجديد)**، القاهرة: دار الكتاب المقـدّس، الإصدار الرابع، ط١، ٢٠٠٧م.
- **الكشاف**، الزمخشري، أبو القاسم جارالله محمود بن عمـر، رتّبـه: محمـد عبدالسلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- **الكشف والبيان**، الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، تحقيق: أبي محمد عاشور، بيروت: دار إحياء التـراث العربـي، ط ١، ١٤٢٢هـــ - ٢٠٠٢م.
- **لسان العرب**، ابن منظور، محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الإفريقي، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.
- **مجاز القرآن**، أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمى البصري، المحقق: محمـد فواد سزگين، مكتبة الخانجى- القاهرة، ١٣٨١هـ.
- **محاسن التأويل**، القاسمي، محمد جمال الدين، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنهـا**، ابـن جنّـي، أبو الفتح عثمان الموصلي، وزارة الأوقاف بالكويت، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن القيم، أبو عبد الله ابن محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٧٣م.
- **معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر**، عصفور، محمد أبو المحاسن، بيروت، ١٩٨٤م.
- **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، حققه: محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، السعودية: دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- **معاني القرآن**، الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، المحقق: أحمد يوسف النجاتي -محمد علي النجار -عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى، د.ت.
- **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، دار الفكر- بيروت،ط٦، ١٩٨٥م.
- **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، محمد بن عمر التميمي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

- **قصة الحضارة**، ديورانت، ويل، ترجمة: بدران، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جواد علي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، المحقق : علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، د.ت.
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدّكن- الهند، ط١، ١٣٩١هـ.
- **نقد النص التوراتي**، الصمادي، إسماعيل ناصر، دار علاء الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.
- **النكت الجياد المنتخبة من كلام شيخ النقاد ذهبي العصر العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني**، إبراهيم الصبيحي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- **النكت والعيون (تفسير الماوردي)**، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، تحقيق: عادل عبد الموجود- علي معوض- أحمد صيرة- أحمد الجمل - عبد الرحمن عويس، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

- **اليهود في تاريخ الحضارات الأولى،** غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، تحقيق: محمود النجيري، القاهرة: مكتبة النافذة، ط١، ٢٠٠٩م.

- **اليهود في العالم القديم،** مصطفى كمال، سيد فرج، بيروت، دار القلم، دمشق – الدار الشامية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

مراجع إلكترونية:

- شرح الكتاب المقدس: http://st-takla.org

* * *